في ظلال المؤتمر /١٠

تصوير المجتمع العباسي

في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي

تأليف:
الدكتور مهدي عابدي

www.ketab.ir

نشر مجمع الذخائر الاسلامية / ٢٠١٥ م
و مؤسسة تاريخ العلوم والثقافة
قم - ايران

بمناسبة المؤتمر الدولي الأول للتراث المشترك بين ايران و العراق
٢٠١٥ م / ١٤٣٦ هـ

کلیه حقوق این اثر تحت قانون کپی رایت بوده و ترجمه یا چاپ تمام یا بخشی از مطالب آن و نیز درج تمام یا بخشی از آنها در ضمن بانکهای اطلاعاتی و تهیه برنامه‌های رایانه‌ای یا استفاده مطالب و تصاویر در اینترنت و دیگر ابزار و ادوات، به هر نحوی، بدون اجازه قبلی ناشر بصورت کتبی، ممنوع می‌باشد.

© MAJMA AL-DAKAAIR AL-ISLAMYYAH, 2015

All rights reserved, No part of this book may be reproduced or translated in any form, by print, internet, photo print, microfilm, CDs or any other means without written permission from the publisher

في ظلال المؤتمر /١٠

تصوير المجتمع العباسي

في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي

تأليف: الدكتور مهدي عابدي

صفحه آرا: ده نمکی
چاپ: ظهور / صحافی: نفیس
نشر: مجمع ذخائر اسلامی - قم
با همکاری مؤسسه تاریخ علم و فرهنگ
نوبت چاپ: اول - اسفند ۱۳۹۳ ش (۲۰۱۵م)
تیراژ: ۱۰۰۰

شابك: ۲-۷۲۷-۹۸۸-۹٦٤-۹۷۸ ISBN: 978-964-988-727-7

ارتباط با ناشر

قم: خیابان طالقانی (آذر)- کوی ۲۳ - پلاک ۱ - مجمع ذخائر اسلامی
تلفن: ۷٤۰ ۷۷۱۳ ۲۵۳ ۹۸+ دورنگار: ۱۱۱۹ ۷۷۰ ۲۵۳ ۹۸+ همراه: ۰۹۱۲ ۲۵۲ ٤۳۳۵

نشانی پایگاههای اینترنتی:

www.mzi.ir
info@mzi.ir

www.zakhair.net
info@zakhair.net

قیمت در سال انتشار: ۲٦۰۰۰ تومان

www.ketab.ir

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدّمة:	١١
والمسائل الأساسية هي:	١٣
والمفروضات العلمية:	١٣
فأمّا منهجي في البحث فيلخّص فيما يلي:	١٣
الفصل الأول: حياته ومؤلّفاته	
١ ـ ١ - عصره السياسي:	٢١
١-٢: الإتجاه الثّقافي والعلمي في القرن الرابع:	٢٧
١-٢-١: سمات الحركة العلمية والأدبية في القرن الرّابع الهجري:	٢٩
١-٣: حياته وسيرته:	٣١
١-٣-١ ـ اسمه ولقبه:	٣١
١-٣-٢: أصله ونسبه	٣٢
١-٣-٣: مولده ووفاته:	٣٣

www.ketab.ir

١-٣-٤: نشأته: ٣٥
١-٣-٥: علاقته بالحكّام: ٣٨
١-٣-٦: أخلاقه وشخصيته: ٤١
١-٣-٧ ـ دينه وعقيدته: ٤٤
١-٣-٨: اتّهامه بالزّندقة: ٤٥
١-٣-٩ ـ أسلوبه في الكتابة: ٤٨
١-٤- أبوحيّان والجاحظ في ميزان الكتابة: ٥٣
١-٤-١- وجوه التشابه: ٥٤
١-٤-٢- وجوه الإختلاف: ٥٩
١-٥ ـ إنتاجه ومؤلفاته: ٦٣
١ ـ ٥-١- كتاب «الصداقة والصديق»: ٦٤
١-٥-١-١: طريقته في هذه الرّسالة: ٦٥
١-٥-٢ ـ كتاب «المقابسات»: ٦٦
١-٥-٢-١:طريقته في الكتاب: ٦٧
١-٥-٣ـ كتاب الإمتاع والمؤانسة: ٦٨
١-٥-٤ ـ الإشارات الإلهية: ٦٨
١-٥-٥ ـ الهوامل والشوامل: ٦٩
١-٥-٦- البصائر والذخائر: ٧١
١-٥-٦-١-طريقته: ٧١
١-٥-٧ ـ مثالب الوزيرين: ٧٢
١-٦: كتاب *الإمتاع والمؤانسة* وموضوعاته: ٧٥
١-٦-١-لمن ألّفه؟ ٧٥

www.ketab.ir

١-٦-٢- طريقته في هذا الكتاب: ٧٧
١-٦-٣- موضوعاته: ٧٨
١-٦-٤- نسخ كتاب الإمتاع والمؤانسة: ٨١

الفصل الثاني : خصائص الحياة السياسية وموقف أبي حيان التوحيدي منها

٢-١- خصائص الحياة السياسية وموقف أبي حيان التوحيدي منها: ٨٧
٢-١-١- التوتّر السياسي في المجتمع العباسي: ٨٨
٢-١-١-١- الفتن الخارجية والداخلية: ٨٨
٢-٢-١-٢- العلاقة بين الحكّام والرّعيّة: ٩٢
٢-٢-٣- الفساد السياسي: ٩٩
٢-٢-٣-١- الفراغ السياسي: ٩٩
٢-٢-٤- فساد الحاشية: ١٠٢
٢-٣- النقد السياسي للمجتمع العباسي: ١٠٩
٢-٣-١ - القلق والضّيق: ١١٠
٢-٣-٢ - النقد والاستنكار: ١١٠
٢-٣-٢-١- مميّزات الحاكم: ١١٦

الفصل الثّالث: خصائص الحياة الإجتماعية وموقف أبي حيّان منها

٣-١- المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري (صورة عامّة) ١٢٥
٣-١-١- مظاهر الترف: ١٢٦
٣-١-٢- تفشّي اللّحن: ١٢٧

www.ketab.ir

٣-١-٣- رواج الخمر والغناء: ١٢٨
٣-١-٤- انتشار الصّوفية والعيّارين: ١٢٨
٣-١-٥- تشرّي الغناء والموسيقى: ١٣٠
٣-١-٦- المجون والشّعوبية والزندقة: ١٣٠
٣-٢- الخصائص الإجتماعية في كتاب *الإمتاع والمؤانسة*: ١٣٣
٣-٢-١- الفرق الإجتماعي- الطبقي: ١٣٤
٣-٢-٣ - التباين السّلوكي في المجتمع العباسي: ١٤٠
٣-٢-٢-١- الإختلاف في الأجناس: ١٤٥
٣-٢-٣-انعدام الأمن الإجتماعي: ١٤٩
٣-٢-٤-الفساد الأخلاقي: ١٥٥
٣-٢-٥- تفشّي الفحش والمجون: ١٦١
٣-٢-٦- بذاءة الكلام: ١٦٣
٣-٣- موقف التوحيدي إزاء الفساد الإجتماعي: ١٦٧
٣-٤- صورة الفرس في كتاب «الإمتاع و المؤانسة» وفي آثار أبي حيّان الأخرى: ١٧٨
٣-٤-١ ـ رجال السّلطة: ١٧٩
٣-٤-٢ ـ علماء من فارس: ١٨٦
٣-٤-٣ ـ مظاهر الصّراع العربي الفارسي: ١٩٠
٣-٤-٤ ـ مظاهر الإمتزاج الحضاري: ١٩٩
٣-٤-٤-١- اللّغة الفارسية: ٢٠٦
٣-٤-٤-٢- الأمثال الفارسية: ٢٠٨
٣-٤-٤-٣- العادات: ٢٠٩

www.ketab.ir

الفصل الرّابع: خصائص الحياة الفكرية
وموقف أبي حيّان منها

٤-١- خصائص الحياة الفكرية وموقف أبي حيّان منها: ٢١٥
٤-١-١ تنوّع المشاغل الفكرية. ٢١٥
٤-١-١- تنوّع المشاغل الفكرية: ٢١٥
٤-١-١-١- اللّغة: ٢١٦
٤-١-١-٢- الأدب: ٢١٧
٤-١-١-٣- الكيمياء: ٢٢٣
٤-١-١-٤- الفلسفة: ٢٢٤
٤-١-١-٥- الأخلاق: ٢٢٧
٤-١-٢- الصّراع الفكري بين الأصيل والدخيل: ٢٣١
٤-١-٢- مواقف أبي حيّان إزاء سمات الحياة الفكرية: ٢٤٣

الفصل الخامس: نقد القيمة الوثائقية للإمتاع والمؤانسة
ونقد موقف أبي حيّان التوحيدي

٥-١- القيمة الوثائقية للإمتاع والمؤانسة: ٢٦٠
٥-٢- دراسة وتحليل الأحوال السياسية في الإمتاع والمؤانسة: ٢٦٤
٥-٣- دراسة وتحليل الأحوال الإجتماعية في *الإمتاع والمؤانسة*: ٢٦٧
٥-٤- دراسة وتحليل الحياة الفكرية في الإمتاع والمؤانسة: ٢٦٩
٥-٥- تقييم مواقف التّوحيدي: ٢٧٣

نتائج البحث: ٢٨٠

www.ketab.ir

فهرست الأعلام ٢٨٧
فهرس الأشعار ٢٩٩
المصادر والمآخذ: ٣٠٠

www.ketab.ir

المقدّمة:

النقدالإجتماعي، مصطلح بمعناه المحدّد والدّقيق حديث العهد، أمّا الفكرة فقديمة وترتبط بحركة العلوم الإجتماعية الوليدة ذاتها وبالتأمّل في الوقائع المتداخلة الإجتماعية– الثّقافية.

وفي الحقيقة إنّ فكرة تفسير الأدب والحدث الأدبي عن طريق المجتمعات التي تنتجهما وتتلقّاهما قد عرفت عصرها الذّهبي في فرنسا في بداية القرن التّاسع عشر والنقد الإجتماعي بحسب تعريف كلود دوشية «يستهدف النصّ ذاته باعتباره المكان الذي يتدخّل فيه ويظهر طابعاً اجتماعياً ما.»(الحوفي ١: ٢٥)

ولا ننسى هنا أنّ مشروع النقد الإجتماعي كان مشروعاً ذا تاريخ،كما أنّنا لا ننسى أيضاً أنّه مشروع مترامي الأطراف وسيبقى هكذا، إذن يشير النّقد الإجتماعي إلى قراءة ما هو تاريخي وإجتماعي وإيديولوجي و ثقافي في هذا التّجسّم الغريب الذي هو النصّ. والنصّ هو المرجع الأوّلي الذي يبتني عليه كلّ نظرية أسسه وإنّ كينونة النصّ في جوهرها تجسيد إمّا لواقع المجتمع أو لنفسية المبدع وإنّ قيمة النصّ في ما ينشئه في المتلقّي و القارئ من أفق جمالي يتنوّع من متقبّل إلى آخر وفق أنساق وأنماط معارفه اللّغوية والفلسفية ورؤآه إلى الحياة.

وقد رأينا أن نرجع في هذا العمل إلى نصّ قديم هو *الإمتاع والمؤانسة* لأبي حيّان التوحيدي، نروم من النظر فيه إستخلاص خصائص المجتمع الذي صوّره وتحديد رؤية المؤلّف له وتوسّلنا في سبيل تحقيق ذلك بما تسمّى«القراءة النصّية».

والقراءة النصّية تنظر في النصّ نظراً مباشراً دون أن تستند إلى قراءات أخرى؛ نظرنا في *الإمتاع والمؤانسة* وحدّدنا رؤية المؤلّف للمجتمع العباسي ولكنّ النصّ بُنية منخلعة عن التّفاعل مع الخارج ويخلو فيها الذّهن من كلّ الآراء المسبقة حول الأثر، وما موضوع الدّراسة إلّا من الوسائط المنهجية في تمحيص النصّ والإستقصاء وتدقيق النّظر فيه.

ولم يكن بدّ في هذه الدراسة من إلمامة بالمؤثّرات في حياة الكاتب وفي مكانته وفي أدبه، قبل دراسة أدبه نفسه.

www.ketab.ir

لهذا تحدّثنا عن عصره السّياسي والعلمي والأدبي وتحدّثنا عن معالم حياته وأخلاقه وثقافته وصِلاته بوزراء عصره وبؤسه وتصوّفه، ثمّ عرضنا مؤلّفاته كلّها وحلّلنا منها ما سلم من دواهي الدّهر و حوادث الحدثان، ثمّ درسنا بتفصيل خصائصه الفكرية والفنّية ورأينا أنّ هذه الخصائص لاتنكشف عن حقيقتها إلّا بالموازنة المنصفة بينه وبين كتّاب عصره وحقبته و اتّخذنا الجاحظ نموذجاً.

كان أبوحيّان كلفاً ومولعاً بالجاحظ وتردّد في الأدب القديم والحديث أنّه خليفة الجاحظ أو الجاحظ الثاني، فكان لابدّ من الموازنة بينهما.

والإهتمام بالعلاقة بين المجتمع ورؤية المؤلّف يقرّ بالتّفاعل بين المبدع والمجتمع والتفاعل لا يعني الإنعكاس و الصّدى ضرورةً ومؤلّفات أبي حيّان التّوحيدي من أفضل الآثار المعبّرة عن ذلك التفاعل؛ فأبوحيّان ذو شخصية جذّابة يظهر أسلوبه ومواقفه من قضايا عصره بدراسة آثاره، ثمّ إنّه مثلما قال آدم متز فيه:«ربّما كان أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق.»(متز ٢: ١٢٥)

ويعتبر كتاب *الإمتاع والمؤانسة* من بين سائر كتب المؤلّف أشدّها صلةً بالمجتمع، ففيه حديث طويل مسهب عن المجتمع، يعكس رؤية أبي حيّان إلى الحياة، لذلك اعتمدناه مصدراً لدراسة المجتمع والرؤية.

و قد وقع اصطفائي على موضوع الرسالة في مرحلة دكتوراه «**تصوير المجتمع العباسي في كتاب *الإمتاع و المؤانسة***» لأسباب عديدة، أهمّها:

أ. إنّ هذا الموضوع المستحدث في إطاره النقدي لم يحظَ بدراسة مستفيضة تستوفي حقّه الأدبي من قبل النقّاد قديماً وحديثاً.

ب. زدْ علي ذلك إنّ كتاب *الإمتاع والمؤانسة* مُفعمٌ بقضايا إجتماعية ومن بين كتب المؤلّف أشدّها صلةً بالمجتمع، ففيه حديث طويل عن المجتمع وقد تلوّن برؤية أبي حيّان للحياة وقد صوّر لنا بوضوح المجتمع العباسي في أزهى عصوره الذّهبية في القرن الرابع الهجري.

ج. إنّ الموضوع الذي تعرضه هذه الرّسالة جاء في منهج حديث من البحث بحيث استنبطنا منه رؤى جديدة، مثمرة حول المجتمع العباسي في القرن الرابع.

د. نروم من النظر في كتاب *الإمتاع والمؤانسة* إستخلاص خصائص المجتمع الذي عاشه أبوحيّان نفسه وصوّره له بريشته الأدبية ثمّ تحديد مواقفه منه والإهتمام بالعلاقة بين المجتمع ورؤية المؤلّف للتفاعل بين المبدع والمجتمع.

www.ketab.ir

والمسائل الأساسية هي:

أ. تبيين موقف أبي حيّان إزاء مجتمع يعاني الفراغ السياسي والجور والحيف ولا يعرف الإستتباب والسكينة والأمن.

ب. قد تحدّث التوحيدي عن كلّ الطّبقات الإجتماعية وأبرز طريقة عيشها وعلاقاتها بعضها ببعض لذلك مواقفه من خصائص الحياة الإجتماعية أوضح وأكثر صراحةً وهي مواقف تحليلية ونقدية أبرزت مدى تفاعله مع أحداث مجتمعه.

ج. رؤيته للمجتمع والحياة الإجتماعية ليست رؤية نقدية فحسب، بل دلّ تفاعله مع أحداث المجتمع على رؤيته الإصلاحية.

والمفروضات العلمية:

أ. ما هو موقف أبي حيّان التّوحيدي إزاء المجتمع العباسي ورؤيته له و ما هو مدى تفاعله مع خصائص الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية في العصر العباسي؟

ب. هل يعارض أبوحيان كلّ جديد يدخل المجتمع وهل ذلك منه تحجّر وتنكّر للتطوّر؟

ج. هل ينكر أبوحيّان الفلسفة وإعمال العقل وعلم الكلام وماشابهه أم لا؟

د. هل ينظر أبوحيّان إلى المجتمع بمنظار إيجابي أو متشائم ويراه مجتمعاً تسوده الفوضى السّياسية والإجتماعية ويحكمه الظّلم والعسف وتسيل فيه الدّماء هدراً؟

فأمّا منهجي في البحث فيلخّص فيما يلي:

أ. إنّه يقوم على استعراض الخصائص السياسية والثقافية والإجتماعية في القرن الرابع ونقد بعض قضاياها.

ب. تبيين موقف أبي حيّان من قضايا المجتمع مدلّلاً بكتاباته حول ذلك.

ج. بما أنّ الدّراسة النصّية لا تنفصل عن استغلال المعلومات الخارجة عن النصّ لفهم أعمق للنصّ والتوسّل بتلك المعلومات في مرحلة تتلو النّظر في النصّ لتعليل موقف أو تفسير رؤية، حملنا التّقويم على الرّجوع إلى أمّهات المصادر لنقارن بين ما جاء فيها من حديث عن المجتمع وبين الصّورة المرسومة له في كتاب *الإمتاع و المؤانسة*.

www.ketab.ir

د. إنّني جعلتُ في كلّ فصل من فصول هذه الرّسالة وقفة تحليلية وموجزة حول ما يبحث عنه ذلك الفصل.

وقسمتُ عملي إلى مداخل عامة وثلاثة أبواب اسقتصيتُ فيها تفاعل رؤية أبي حيّان مع خصائص الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية قبل أن أخصّص فصلاً لتحديد القيمة الوثائقية للكتاب ولتقييم مواقف أبي حيّان.

في الفصل الأوّل من الدّراسة تناولتُ حياة أبي حيّان التّوحيدي وعصره السياسي والثقافي والعلمي واتّصاله بالحكّام وأخلاقه وشخصيته ودينه وعقيدته واتّهامه بالزندقة، ثمّ تطرّقتُ إلى أسلوبه وخصائصه الفنّية، موازناً بينه وبين الجاحظ في الأسلوب.

وفي الفصل الثاني عالجتُ الحياة السياسية في عصره ومشاركة العامّة فيها مبيّناً أهمّ مظاهرها وهي العلاقة التّنافرية بين الحكّام و الرعيّة وفساد الحاشية وانقسام النّاس خاصّتهم وعامّتهم إلى تكتّلات مذهبية وسياسية و...

في الفصل الثالث درستُ خصائص الحياة الإجتماعية في عصر أبي حيّان ومواقفه منها، فاطّلعتُ على مظاهر الحياة الإجتماعية العامّة وعلى موقف أبي حيّان منها وهذه المظاهر هي: التباين الطبقي وانعدام الأمن الإجتماعي والفساد الأخلاقي. ثمّ حدّدتُ مواقف المؤلّف منها وبحثتُ في مصادرها وأبعادها.

ثمّ تطرّقتُ إلى تصوير الفُرس في كتاب *الإمتاع والمؤانسة* وآثاره الأخرى في أربعة مواضيع:

رجال السلطة، علماء من فارس، مظاهر الصّراع العربي- الفارسي، ومظاهر الإمتزاج الحضاري ثمّ بيّنتُ مدى تأثير اللّغة الفارسية وأمثالها السائرة في كتابات التّوحيدي.

وفي الفصل الرابع تناولتُ خصائص الحياة الفكرية من وجهة نظر أبي حيّان ومواقفه منها، فوقفتُ على الخصائص التالية: تنوّع المشاغل الفكرية مثل الفلسفة والكيمياء والكلام واللّغة وغيرها.. وسوء منزلة المفكّر.

وفي الفصل الخامس اسقتصيتُ القيمة الوثائقيّة لكتاب *الإمتاع والمؤانسة* بواسطة الرّجوع إلى أمّهات المصادر من الكتب القديمة والحديثة التي عنيت بالحديث عن القرن الرابع ونقد مواقف أبي حيّان في كتابه وقد أنهيتُ الدراسة بخاتمة تخلص النتائج التي توصّلتُ إليها.

www.ketab.ir

وفي نهاية المطاف خلصتُ إلى أنّ هذا الكتاب (*الإمتاع و المؤانسة*) قد صوّر شؤون المجتمع في القرن الرابع الهجري وأبرز ما يتهدّده من أخطار داخلية وما يسوده من الفوضى السّياسية والإجتماعية وما يحكمه من الظّلم والعسف وهذه الأمور تعبّر عن عمق الصّلة بين الكاتب والبيئة التي عاشها.

ومهما يكن، فلابدّ من الإعتراف بالتقصير، فالدّراسة تظلّ مجرّد محاولة للبحث في مواقف أبي حيّان التّوحيدي في كتاب *الإمتاع والمؤانسة* وما يجعلني مطمئناً بعض الاطمئنان أنني جهدتُ وحاولتُ.

وأختتم هذه الوريقات بقول ابن حزم الأندلسي:

«المؤلّفات سبعة لا ثامن لها:

فهي إمّا شيء لم يسبق المؤلّف فيه فيستخرجه؛

وإمّا شيء باطل أو خاطئ فيصحّحه؛

وإمّا شيء مستغلق فيشرحه؛

وإمّا شي مُسهَب فيختصره؛

وإمّا شيء متفرّق فيجمعه[1]؛

وإمّا شيء منثور فيرتّبه.»

«وهو من وراء القصد»

مهدي عابدي

رجب المرجّب ١٤٣٢ هـ

١- وعملنا هذا من هذا القبيل.

www.ketab.ir